Social Determinants of Children's Education in Functional Thought Talcott Parsons-Durkheim Pierre Bourdieu)

Al-Suwaihli Al-Hadi Saleh Daoub

Department of Sociology, Faculty of Education, Zuwara, University of Zawia

Zawia - Libya

Email: Al-Suwaihli.AlHadi.ly@gmail.com

ABSTRACT

Education has increasingly become an urgent economic reality that cannot be ignored through the acquisition of knowledge as a cornerstone of human development. According to the above, our interest in this research will focus on the social determinants in the functional thought of Talcott Parsons-Durkheim-Pierre Bourdieu) for the student (family income, parental education, parental profession), that is, this study deals with the impact of the student's social determinants on the level of academic achievement for males and females, which is the number of actual years of study completed or the highest level reached, the educational level they aspire to, as well as the type of work they aspire to obtain, test scores, failure in the course, dropout rates, college plans. The functional thought of Talcott Parsons, Durkheim and Pierre Bourdieu believes that the higher the social class of the student, the greater the possibility of his excellence in his studies. Children from poor families do not achieve the same academic achievement as other children from the upper social class. The matter does not stop at this point, but rather goes beyond it to address the student's academic achievement from the quantitative and qualitative aspects.

المحددات الاجتماعية لتعليم الأبناء في الفكر الوظيفي تالكوت بارسونز - ودوركايم بيير بورديو)

السويحلي الهادي صالح داعوب

قسم علم الاجتماع كلية التربية زوارة جامعة الزاوية

الزاوية – ليبيا

Email: Al-Suwaihli.AlHadi.ly@gmail.com

الملخص:

اصبح التعليم على نحو متزايد حقيقة اقتصادية ملحة لا سبيل إلى تجاهلها من خلال اكتساب المعرفة بوصفها حجر الزاوية في التنمية البشرية .

وفقا لما تقدم فان اهتمامنا سينصب في هدا البحث على المحددات الاجتماعية في الفكر الوظيفي تالكوت بارسونز–ودوركايم– بيير بورديو) للطالب(دخل الأسرة، تعليم الوالدين ،مهنة الوالدين) أي أن هده الدراسة تتناول بحث تأثير المحددات الاجتماعية للطالب في مستوى التحصيل الدراسي للذكور والإناث وهو عدد سنوات الدراسة الحقيقية التي أكملها أو أعلى مستوى تم الوصول إليه ،والمستوى التعليمي الذي يتطلعون أليه ،فظلا عن نوع العمل الذي يطمحون في الحصول عليه،درجات الاختبار،الفشل في المقرر الدراسي ،معدلات التسرب ،خطط الكلية .

حيث أن الفكر الوظيفي لتالكوت بارسونز ودوركايم بيير بورديو يرى انه كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية للطالب ،زاد احتمال تفوقه وفى الدراسة فالأبناء المنحدر ون من الأسر الفقيرة لا يحققون إنجازا في الدراسة كغيرهم من الأبناء المنحدر ون من الطبقة الاجتماعية العليا ولا يتوقف الأمر عند هدا الحد بل يتعداها ليتناول التحصيل الدراسي من الجانب الكمي والنوعي للتلميذ .

موضوع البحث وأهميته

إن عملية التحصيل الدراسي في البناء الاجتماعي تحتل مكانة هامة في أدبيات علم الاجتماع ، وذلك لما لتلك الظاهرة من أهمية بالغة في تاريخ المجتمعات البشرية على اعتبار أنها تشكل ظاهرة ملازمة بكافة التنظيمات الجمعية.

لذا تقتضي متطلبات البحث الإحاطة نظرياً بتلك الفكرة على اعتبار أن العلاقة التكاملية بين البناء الاجتماعي التعليم سواء كان ذلك في العلاقات بين الأفراد أو الجماعات الأمر الذي دفع إلى ضرورة إصلاحها أو علاجها ,معرفة أهم المصادر الأساسية تطوير العملية التعليمية وتأثيرها داخل البناء الاجتماعي.

يعتبر موضوع التعليم والمسار المهني من أكثر الموضوعات التي اهتمت بها دراسات علم الاجتماع المهني والتربوي ، ولعل المرتكز النظري الذي تقوم عليه هذه الدراسات يعود إلى النظريات الاجتماعية التي تفسر عملية إعادة الإنتاج والتدرج المهني بين جيل الآباء وجيل الأبناء من خلال دراسة المحددات الاجتماعية لذلك سوف نعرض لأهم الإسهامات السوسيولوجية متمثلة في نظرية تالكوت بارسونز ودوركايم ،بيير بورديو.

لقد حاول هؤلاء العلماء وضع إطار نظري يفسر ظواهر إعادة الإنتاج الحراك بأشكاله المختلفة بين جيل الآباء وجيل الأبناء من خلال مجموعة من المحددات الاجتماعية ،وتأتى أهمية هذا المدخل السوسيولوجى في كونه يساعد على تشخيص الوضع الاجتماعي للفرد في إي نسق اجتماعي والذي يمكن تحديده من خلال المرتبة التي يشغلها الفرد داخل السلم الاجتماعي والوظيفة التي يؤديها في المجتمع ، وصولا إلى تفسير إعادة أنتاج التفاوت الطبقي و الحراك الاجتماعي وتحديد أشكاله ودوره في الحياة الاجتماعية والمهنية

تساؤلات البحث

السؤال الذي يواجهنا هنا هو ما هي المنطلقات النظرية لمفهوم المحددات الاجتماعية وشبكة الأدوار الهامة التي تلعبها داخل البناء الاجتماعي وكيف يعمل البناء الاجتماعي على توزيع التفاوت التعليمي داخل الأنساق الاجتماعية في نظرية تالكوت بارسونز ودوركايم ،بيير بورديو ، ولا يكتفي الباحث بهذا التساؤل فقط بل يتعداه إلى معرفة أهم المسببات الأساسية للتباين التعليمي بين الأفراد وأبعاده وخصائصه وصولا إلى تحقيق التكامل الاجتماعي .

وللإجابة عن هذه التساؤلات يسعي الباحث إلى الوصول لمجوعة من الأهداف:

أهداف البحث

1-التعرف على أهم المنطلقات النظرية والركائز الأساسية لمفهوم المحددات الاجتماعية عند وإبرا في نظرية تالكوت بارسونز ودوركايم ،بيير بورديو أهمية ومكانة هذه النظرية في سياق تحديد الوظيفة التكاملية للمحددات الاجتماعية .

3- الكشف عن أهم أبعاد و مصادر التفاوت التعليمي وأهم الخصائص التي تميز التباين الاجتماعي داخل البناء الاجتماعي.

وللوصول إلى لأهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته يستخدم الباحث المنهج العلمي .

منهج البحث

المنهج الوصفي التحليلي .أعتمد الباحث على رصد وتحليل المراجع الهامة واستخدام الأساليب المنهجية المتمثلة في المنهج التحليلي النقدي ، فدراسة المحددات الاجتماعية تقتضي بالضرورة الاعتماد على هذا المنهج استخدام النظرة التحليلية النقدية ولا يكتفي برصد الآراء فقط وتحديد نقاط الالتقاء بين أهم المنطلقات النظرية السوسيولوجية التي تفسر العلاقة التكاملية للمحددات الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي في نظرية تالكوت بارسونز ودوركايم ،بيير بورديو ، إن هذا المنهج يعتبر عونا ضروريا لموضوع البحث والوصول إلى الأهداف المحددة له.

دور كايم *

يرى دوركايم أن التباين الاجتماعي الذي يميز البناء الاجتماعي في المجتمعات المتحضرة ظاهرة مرتبط بتقسيم العمل وهذا التقسيم أمر حتمي وضروري للتقدم الاجتماعي فكلما زاد تقسيم العمل كلما زاد الترتب الاجتماعي اى زاد التباين الاجتماعي

ومن الجدير بالذكر أن دور كايم تناول أيضا في إطار اهتمامه بالنظام التعليمي ما يسمى بسوسيولوجيا المنهج أي كيفية ربط النظام التعليمي والمدرسة والمجتمع في نفس الوقت بما يلبي متطلبات المجتمع الحديث . بالإضافة إلى المكاسب الفردية التي يحصل عليها الفرد كأحد الدوافع السيكولوجية

لاكتساب المهارات والتخصص الذي يعتبر أحد متطلبات الحراك الاجتماعي في العصر الحديث والتي تستند إلى مبدأ التخصص وتقسيم العمل . [1]

وعلى جانب آخر يركز دور كايم على أهمية العلاقة بين المدرسة والأسرة في العملية التعليمية في إطار تحقيق التنشئة الاجتماعية ،على اعتبار أن كلا المؤسستين يؤثر كل منهما في الآخر[2].

أن اهتمام دور كايم ينصب على مجموعة من الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والتربوية على اعتبار أن للتعليم جوانب متعددة الأوجه على الشخصية الفردية للتلميذ ولا سيما الطفل أو الفرد في المجتمع الحديث، فالأبناء لديهم الكثير من الطموحات والرغبات والمطالب الشخصية التي يسعى لتحقيقها والتي تشكلت بفضل العديد من المحددات الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت في تشكيل هذه الطموحات أو الرغبات ، فقد تكون للأسرة دور و للأقرباء دور أو للزملاء دور في تكون مثل هذه الرغبات والطموحات وخاصة اختيار نوع معين من التعليم أو المهن .

مجمل القول أن تشكيل مثل هذه الرغبات والطموحات تكون بفعل مجموعة من العوامل الذاتية أو الاجتماعية أو الاقتصادية لدى الأبناء ومن ثم فأن عملية التنشئة الاجتماعية ، ونوع المنهج والمقررات الدراسية التي توجد في المدارس تسهم بإعادة توجيه المتطلبات الفردية حتى تندمج مع متطلبات المجتمع بصورة إيجابية.

***النظرية البنائية الوظيفية (لتالكوت بارسونز)**

س. يعتبر التعليم آلية مهمة لكسر التمايز الطبقي الجامد داخل المجتمع على اعتبار أنها تستند في عملية اختيار أفراد المجتمع إلى معايير موضوعية ، وهى بذلك تتيح فرصة أكبر في عملية الحراك الاجتماعي داخل المجتمع .اشرح ذلك مستعينا بنظرية تالكوت بارسونز؟

يفسر المنظور الوظيفي الأهمية الرئيسية للمدارس بالتركيز على الدور الذي تلعبه في المحافظة على النظام الاجتماعي ككل، بمعنى أن عملية الاستقرار والتوازن تتجلى من خلال النظام التعليمي وبالتحديد المدرسة التي تقوم بالعديد من الأدوار أو الوظائف والتي يمكن ذكر أهمها

النقل الثقافي والتجديد.

أذا أراد المجتمع البقاء ،فيجب أن تنقل ثقافته من جيل إلى جيل أخر وتستخدم المدارس لتزويد الشباب بالمعرفة ، والمهارات والقيم التي يهتم بها المجتمع الحديث .ومع ذلك فأن المؤسسات التعليمية لاتنقل المعرفة القائمة فحسب وإنما تضيف إلى التراث التفافي تطوير معرفة ومهارات جديدة كذلك النمو الشخصي[3] .

المدرسة تعلم مجموعة من الحقائق والمهارات ذات الفائدة العملية للطلبة بعد تخرجهم من المدرسة كما أنها توفر أيضا لهم الفرص للحصول على بعض الأشياء الأكثر أهمية في حياتهم مثل عادات

التفكير السليم والأفق الواسع ،التي تميز الشخص المثقف .كما أن التلاميذ يتعلمون كثيرا من الأشياء المتعلقة بحياتهم وبالعالم الذي يعيشون فيه بعض هذه المعرفة ذات علاقة بفرص أدوارهم المهنية ،غير أنها لأكثر أهمية بالنسبة لنمو عواطفهم ،وتفكيرهم الشخصي .

يرى الوظيفيون أن انتشار التعليم يعود إلى النمو الاقتصادي الذي يشهده المجتمع ، لأن الأعمال الجديدة والأكثر تحديا تطلبت مستويات عالية من المهارات ،وأن المدارس ساعدت على بقاء النظام الاجتماعي في حالة توازن بتوفير العاملين الماهرين والضروريين للقيام بالعمال والوظائف التي تقود إلى تطور واستقراره[4] .

على اعتبار أن ما يشهده المجتمع من تغيرات تكنولوجية أدت إلى زيادة مستمرة مستوى في المهارة المطلوبة لاداء الوظائف ، ويشمل ذلك جانبان :-

أولا: تقلص نسبة الوظائف التي تستوجب مستوى متدنى من المهارة وارتفاع نسبة الوظائف التي تتطلب مستوى مرتفع من المهارة ،

ثانيا: حدوث زيادة متدرجة في مستوى الوظائف نفسها، كما يقدم التعليم النظامي التدريب اللازم للوظائف التي تتطلب مهارات أكثر ارتفاعاً، وذلك في صورة مهارات متخصصة أو في قدرات عامة

3-اختيار أفراد المجتمع وفقا لقدراتهم وامكانياتهم [5]

س. المدرسة هي آلية مهمة لكسر التمايز الطبقي الجامد داخل المجتمع أشرح ذلك؟

تعمل المدرسة على انتخاب الأفراد وفقا لمعايير موضوعية لاحتلال مراكز اجتماعية واقتصادية معينة وفق ما يتمتعون به من قدرات وتستبعد الذين لا تتوفر لديهم مثل تلك القدرات بناء على التفاوت في الانجاز الأكاديمي بين الطلبة وتستخدم في عملية الاصطفاء هذه آليات منهجية وأكاديمية تتبعها في عملية الاختيار والاصطفاء والتقسيم الطبقي داخل المجتمع ، وأن هذا الانتقاء يعمل على توزيع الأفراد بشكل عادل وفق قدراتهم على الأوضاع الاجتماعية ، بمعنى أن المدرسة هي آلية مهمة لكسر التمايز الطبقي الجامد داخل المجتمع على اعتبار أنها تستند في عملية اختيار أفراد المجتمع إلى معايير موضوعية ، وهى بذلك تتيح فرصة أكبر في عملية الحراك الاجتماعي داخل المجتمع .

والسؤال الذي يواجهنا هو كيف تعمل المدرسة على كسر التفاوت الاجتماعي الجامد من جهة وتعمل على خلق تمايز اجتماعي أخر بين الأفراد قائم على ما يمتلكه الأفراد من قدرات وإمكانيات موضوعية ؟

بمعنى أن المدرسة في حقيقة الأمر تتيح فرصة المساواة في الالتحاق في الدراسة وعدم التساوي في النتائج كما أن التمايز الذي تنتجه المدرسة تمايز مطلوب ومفيد أي يحقق وظيفة للمجتمع ويساعد في تحقيق حالة التوازن والاستقرار داخل المجتمع لان هذا التمايز موضوعي ولا يقوم على أساس جامد كالانتماء العرقي أو الطائفي أو الديني، فالفرد الذي يتولى منصب اجتماعي كبير لا يمكن أن نعزوه في

هذه الحالة إلى عامل طبقي أو عرقي أو ديني معين ، بل يعود إلى ما يتمتع به الفرد من قدرات وإمكانيات أهلته إلى أن يتولى هذا المنصب الرفيع حتى ولو كان هذا الفرد ينتمي إلى أدنى الطبقات الاجتماعية الكادحة ، وبالتالي فأن التعليم يفتح المجال أمام التدرج الاجتماعي والمهني للأفراد ما لم تكون هناك محددات اجتماعية واقتصادية تؤثر على هذا التنقل وهو ما تركز عليه هذه الدراسة ، وأن هذا التدرج يرتبط به تدرج في المكانة الاجتماعية والاقتصادية بين الأفراد .

أن عملية الانتقاء داخل النظام التعليمي تتحدث وفق ما يمتلكه الأفراد من قدرات أكثر من اعتمادهم على الاختلافات العرقية أو الطبقية وبذلك يتحقق تكافؤ الفرص ، بمعنى أن تكافؤ الفرص في التعليم وعدم التكافؤ في النتائج يشير إلى وأن عدم التكافؤ الأخير ناتج عن التفاوت في القدرات بين الأفراد[6]

كما أن عملية التدرج الاجتماعي تنشأ كنتيجة لحصول الأفراد على تعليم أكثر ومكانة اجتماعية أعلى عن الآخرين وبهذا الشكل يظهر التفاوت بين الأفراد في المجتمع بشكل حتمي

بناء على ذلك فأن المتطلبات التعليمية للوظائف في تصاعد مستمرة ، وهناك حاجة متصاعدة لان تستمر نسبة أكبر من أفراد المجتمع فترات طويلة في الاستمرار بالدراسة ومواصلة التحصيل الدراسي فكلما زادت سنوات التعليم التي يتمها الفرد زادت إنتاجيته وحصوله على مهارات فنية أعلى تؤهله لاحتلال مهن أفضل في سلم التدرج المهني ويرتبط بذلك كله ارتفاع الدخل الذي يحصل عليه وكان أكثر أهمية في المجتمع ، وكذلك فأن التعليم يلعب دور أساسي في توزيع الأفراد على الوظائف المتاحة ، بمعنى هناك ارتباط بين مستوى التعليم الذي يحصل عليه الفرد ومستوى المهنة التي يلتحق بها

بالنظر إلى التحليل السوسيوتاريخي للمدرسة في المجتمع يتضح لنا بشكل جلي وواضح مدى العلاقة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع عبر العصور التاريخية وكيف تتأثر المدرسة أو الجامعة أو المعاهد الأكاديمية كمؤسسة اجتماعية بالنظام التعليمي الذي تنتمي أليه وبطبيعة المجتمع الأكبر باعتباره نسق كلي يؤثر في نوعية المؤسسات والنظم والأنساق ويتأثر بها في نفس الوقت.

فأصحاب النظرية الوظيفية يركزون على دور التعليم في عملية الاختيار على أساس أن الوظيفة الأساسية للتعليم هي انتقاء الأفراد في المجتمع الذين لهم مواصفات معينة لشغل مراكز وأضاع اجتماعية معينة، ويتصور الوظيفيون أنه من خلال عملية الاختيار هذه يتم توزيع الأفراد بشكل عادل وفق قدراتهم على الأوضاع الاجتماعية ، وبذلك يتحقق التوازن الاجتماعي

وعلى صعيد آخر يبرز دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية في الفكر الوظيفي وبالتحديد في فكر تالكوت بارسونز، فالمدرسة بنظره تسهم بفاعلية في عمليات التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي من خلال عمليات وضع التلاميذ في مراكزهم المحددة داخل البناء الاجتماعي من خلال عمليات التقييم لاكتساب أو اتخاذ الأدوار الملائمة التي يكتسبونها من الثقافة والتنشئة الاجتماعية كما يسعى المنظور

الوظيفي أيضا إلى تحليل عملية التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المدارس مند المرحلة الأولى لرياض الأطفال أو الحضانة حتى الانتقال إلى المرحلة الثانوية أو الجامعات وطرق اكتساب الأبناء أدوارهم ومكانتهم الجديدة خلال كل مرحلة أو المراحل الدراسية اللاحقة[7].

وفي نفس الوقت يركز هذا المنظور على الدور المتبادل بين المدرسة والأسرة والدور المتوقع أن يقوم به كل من الوالدين والمدرسين اتجاه الآخر من أجل تحقيق أعلى المستويات من التنشئة الاجتماعية والتربوية للأبناء خاصة إن عملية التعلم واكتساب أدوار وسلوكيات جديدة داخل المدارس

ولكن أيضا في إطار الحياة العادية للأبناء في المنزل والشارع والزملاء ... الخ على اعتبار أن عمليات التعلم والتنشئة هذه تسهم في تكوين العديد من القيم والمعايير والاتجاهات الجديدة التي تجعل الأبناء أفراد أسوياء في المجتمع أو العكس .

ومن جهة أخرى تركز النظرية الوظيفية على محور أخر لا يقل أهمية من التنشئة الاجتماعية وهو العلاقة المتبادلة بين التنشئة الاجتماعية و الضبط الاجتماعي والنظام التعليمي وعلاقته ببقية النظم الاجتماعية الأخرى وبالتحديد العلاقة بين الضبط الاجتماعي والمدرسة باعتبارها من المؤسسات الاجتماعية الهامة التي تهدف للمحافظة على النسق الاجتماعي ككل.[8]

كما تفسر عملية الضبط الاجتماعي عن طريق تحليل العلاقة المتبادلة بين الأسرة والمدرسة ،حيث تقوم المدرسة باعتبارها نسق اجتماعي بأعداد الأبناء لأدوار متباينة داخل محيط أسرتهم أو إطار مجتمعهم وقد يظهر تباين واضح في سلوكيات الأبناء نتيجة لعلاقة الأسرة أو الوالدين واهتمامهم بعملية التنشئة الاجتماعية لأبنائهم وكيفية عقابهم أو مكافآتهم في حالات حدوث السلوكيات غير السليمة عن طريق ردود أفعالهم في حالات التسيب الدراسي للأبناء وعدم تحقيقهم أو أدائهم للواجبات المدرسية

نظرية أعادة الإنتاج الثقافي ((بيير بورديو))

يطرح بيير بورديه فكرة محورية في إطار تفسير التمايز الطبقي داخل المجتمع تتركز على دور النظام التعليمي أو المدرسة في إعادة إنتاج علاقات التفاوت الطبقي داخل المجتمع وظهور اللا عدالة اجتماعية. ولعلنا نتساءل كيف يسهم النظام التعليمي في خلق هذا التفاوت الاجتماعي وما هي الآليات التي يستند إليها هذا النظام في ترسيخ إعادة أنتاج علاقات التفاوت المجتمعي ؟

أن الإجابة على هذا التساؤل هو ما يمثل جوهر نظرية بورديو بهذا الصدد، حيث يفسر بورديه إعادة إنتاج وترسيخ التمايز الاجتماعي بين الانفراد فئ المجتمع انطلاقا من نظريته (رأس المال الثقافي) الذي يرى فيه إن الثقافة المسيطرة أو السائدة دور في إعادة إنتاج ذلك التباين المجتمعي بقوله ((يسهم النشاط التربوي بشكل متعسف في فرض تعسفه الثقافي من خلال علاقات القوة المنعقدة بين الجماعات أو الطبقات المكونة للتشكيلة الاجتماعية حيث يمارس ومن خلال العسف الثقافي الذي يسهم في معاودة أنتاج علاقات القوة))[9]

وبالنظر إلى النص السابق يتضح أن الثقافة السائدة في المجتمع تنحصر بيد فئة محدودة من المجتمع وأن هذه الفئة تملك جميع مصادر القوة في المجتمع (سلطة ، ثروة) ، وأن هذه المصادر مكنت هذه الفئة من تعزيز هذه الثقافة وانتشارها بشكل يساعد على إعادة ترسيخ التفاوت والتمايز الاجتماعي على مر الزمن والمحافظة على الوضع القائم، أن هذه الثقافة تحمل بطياتها نوع من خداع المجتمع وذلك من خلال الشكل الحقيقي لعلاقات السيطرة وإظهارها وكأنها علاقات تفتح المجال جميع أفراد المجتمع لتحقيق درجة كبيرة من الحراك الاجتماعي، وأن هذا التفاوت الاجتماعي في الدخل والملكية والتعليم والسلطة بأنه تفاوت يعود بالضرورة إلى التفاوت الثقافي وهذا ما يقصده بقوله ((أن الأنسقة الرمزية في إي مجتمع هي أدوات للسيطرة الاجتماعية والسياسية))[10]

على وضؤ ما سبق فأن أهم الآليات التي تساعد فى ترسيخ أعادة أنتاج التمايز الاجتماعي داخل المجتمع تكمن في قيام النظام التعليمي، ومن خلال سيطرة الثقافة السائدة في خلق شعور نفسي ناتج عن مجموعة من المحددات الاجتماعية والاقتصادية لدى بعض أفراد المجتمع بعدم الرغبة في التطلع مثلا إلى مستويات لا تتطابق مع انتمائهم الاجتماعي .

هذا الشكل يساعد أصحاب الثقافة السائدة أو المسيطرة على البقاء في مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية المرموقة دون غيرهم ،وتحقيق مكاسب اجتماعية واقتصادية وسياسية، وهو ما يطلق عليه بورديو العنف الرمزي الذي يظهر من خلال محدودية الفرصة المتاحة لأبناء الطبقات الفقيرة لدخولهم النظام التعليمي في مراحله المختلفة ويستدل على ذلك بدراسته للمجتمع الفرنسي حيث يقول ((أن الفرصة المتاحة لأبناء العمال الزراعيين هي 1:80 ونسبة الفرص المتاحة أمام الطبقات العليا إلى نسبة الفرص المتاحة أمام أبناء الصناعة هي 1:40 ونسبة الفرص المتاحة أمام أبناء الطبقات العليا ونين الفرص المتاحة أمام أبناء الإداريين هي 1:2))[11]

والجدير بالذكر أن بورديو يرى أن الثقافة كنسق رمزي قابل للتحول إلى رأس مال اجتماعي ورأسمال مادي، وأن الحياة الاجتماعية تتسم بعملية تحويل رأس المال الثقافي إلى رأس مال مادي والعكس أى تحويل الرأس مال المادي إلى رأس مال ثقافي، أن هذه الخاصية في التحول هي التي ساعدت الثقافة من أن تعمل كأداة لكسب المزيد من رأس المال الثقافي أو الاقتصادي ،وبذلك تكون الثقافة محل صراع بين القوى الاجتماعية في إطار صراعها من أجل المحافظة على مصالحها واستمرارها ، كما يبرز العنف الثقافي الذي تمارسه القوى المسيطرة في شكل تنوع المدارس فى المجتمع الواحد واختلاف مستوياتها و بتنوع الأصول الطبقية للطلاب الداخلين لها وهو ما نلاحظه بقوله ((أن العامل الاقتصادي للأسرة يلعب دورا محددا على مستوى نجاح أبنائها)) ويضيف ((ضمن تشكيلة اجتماعية معينة يتمتع العمل التربوي الذي يطال عناصر الجماعات أو الطبقات المختلفة بقدرته على الانتشار من خلال سبل

المعرفة العلمية بقدر ما تكون هذه الجماعات أو الطبقات مرغمة نظرا لأحوالها المادية المعاشة لمواجهة الحياة))[12]

فأبناء الطبقة الغنية يدخلون مدارس من نوع معين ذات مستوى أرقى ((المدارس الخاصة)) وذات تكلفة مالية مرتفعة ، أما أبناء الأسرة الفقيرة فهم في الغالب يدخلون إلى المدارس التي لا تتوفر فيها إمكانيات المدارس الخاصة.

أن هذا التنوع في المدارس في المجتمع حسب رأى بورديو يعكس في المحصلة تباين اجتماعي بين أفراد المجتمع حيث يرى أن شعار ديمقراطية التعليم الذي رفعته المجتمعات الغربية الحديثة كان وهما صريحا يهدف أول ما يهدف إليه هو تأكيد عملية العنف الثقافي الذي تمارسه القوى المسيطرة من خلال النظم التعليمية القائمة[13]

وبالنظر إلى ما سبق نلاحظ أن بورديو يحاول أن يبين جوهر النظام التعليمي المتأثر بالمحيط الاجتماعي الذي يسهم في تعزيز التفاوت الاجتماعي رغم أن هذا النظام يظهر للوهلة الأولى وكأنه يفتح المجال أمام عملية التدرج الاجتماعي والتقليل من حدة التفاوت الاجتماعي

بمعنى أن النظام التعليمي يستخدم المنهج أو المحتوى الدراسي (المقررات الدراسية) كوسيلة هامة في تعزيز عملية أعادة أنتاج التفاوت على اعتبار أن المناهج الدراسية التي تستخدمها المدارس تحمل في طياتها بعض القيم الثقافية والعادات المتنوعة التي يكتسبها الفرد فى سن مبكرة في حياته وعند بقاء الأطفال في المدارس تمارس هذه القيم أثارها على الناس بتحديد أفاق الفرص أمام بعضهم وتفتح مجالات واسعة أمام بعضهم الأخر .[14]

بمعنى أن هناك مؤشرات موضوعية يستطيع من خلالها الأبناء تقدير إمكانية استمراره في الدراسة من عدمه وأن هذا التقدير يأخذ بعين الاعتبار المخاطر وحدود النفقات والعائد المتحصل عليه وعلى هذه التقديرات يتخذ التلميذ قراره في مواصلة الدراسة من عدمه . فالأبناء المنتمون إلى طبقات اجتماعية معينة في الغالب يتميزون بتمكنات ثقافية ولغوية معينة وكذلك بخصائص نفسية معينة والتي يمكن أن نسميها التطلعات والطموحات والآمال التي يمتلكها الأبناء بحكم نشأتهم في أسر ذات انتماء طبقي معين .[15]

والسؤال الذي يواجهنا هنا هو هل التمكنات الثقافية واللغوية وشكل الخصائص النفسية يؤثران على التدرج التعليمي في كل المستويات ؟

لاشك أن تأثير تلك المحددات يؤثر بشكل كبير في المراحل الدراسية الأولى للأبناء ويقل هذا التأثير في مراحل التعليم العالي ، كما أن الانتماء الطبقي يختفي وراء العلاقات الثقافية التي يمتلكونها (رأس المال الثقافي وبنية الخصائص النفسية) ذلك أن أبناء الطبقات الفقيرة قد يحصلون على قدر من هذه العلاقات التي تساعدهم في النجاح في التعليم العالي، عن طريق المعاناة والاجتهاد .

أن بورديو يرى أن النجاح والفشل واختيار نوع معين من التعليم الذي يقود إلى مهن معينة يرتكز على مجموعة من المحددات المتداخلة من خلال النظام التعليمي والوسط الأسرى والاجتماعي بما ينتج تأثير غير مرئي في سلوك الأبناء الطلاب واتجاهاتهم ومن تم نجاحهم أو رسوبهم أو انقطاعهم عن الدراسة .

ضمن هذا السياق يقول بورديو ((أن هؤلاء الذين كان استبعادهم عن طريق الانتقاء المباشر أو الامتحانات إنما يتوقف أيضا على مستوى طبقتهم الاجتماعية))[16]

وبالنظر إلى ما يقوله بورديو يتضح أن الامتحانات آلية أخرى تعمل على إعادة الإنتاج داخل المجتمع وتعمل على تعزيز التفاوت الاجتماعي من خلال تأثرها بالمحيط الاجتماعي للأبناء، بمعنى أن درجة الانجاز الاكاديمى للطلاب التي تتمثل في النجاح أو الفشل أو حتى الانقطاع عن الدراسة ، لا تتأثر فقط بالعوامل الأكاديمية بل تتعداها لتتأثر بالعوامل الاجتماعية المحيطة بهم .

خلاصة واستنتاجات

أن النماذج النظرية التي اعتمد عليها الباحث في تفسير موضوع دراسته تسهم في تحديد أهم المرتكزات التي يستند عليه التعليم والمسار المهني للأبناء ، وكذلك تأتى أهمية هذه النماذج النظرية في كونها تساعد على تشخيص المحددات الاجتماعية للفرد وصولا إلى تفسير التدرج الاجتماعي أو إعادة الإنتاج ودوره في عملية التغير الاجتماعي بشكل عام

بناء على ما تقدم فأن الباحث لجأ إلى بعض النماذج النظرية التي رأى فيها قدرة ملائمة على تفسير هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته ونظرا لتشعب النماذج النظرية الأخرى فقد اكتفى الباحث بنظرية كل من بارسونز ، ودوركايم ، ، و بيير بورديو .

أن كل نموذج من هذه النماذج ينطلق من مجموعة من القضايا التي تحاول تفسير ذلك الوضع الاجتماعي للفرد والذي يؤثر في تحديد مساره التعليمي والمهني .

فالنموذج النظري لبارسونز يركز على دور المدرسة أو النظام التعليمي بشك عام في تحقيق التوازن والاستقرار داخل المجتمع من خلال مجموعة من الوظائف التي تؤديها المدرسة لعل أهمها دور المدرسة في عملية الاصطفاء المبنى على معايير موضوعية ، وان هذا الاصطفاء يخلق نوع من التفاوت داخل المجتمع ، و يؤدى وظيفة أخرى وهى انسجام وتناغم المجتمع وبالتالي حالة من التوازن والاستقرار

أما النموذج النظري الذي يطرحه دوركايم فنجده ينطلق في تفسير عملية التفاوت التي يشهدها المجتمع ما هي إلا ظاهرة طبيعية وضرورة يتطلبها المجتمع الصناعي الحديث الذي يشهد حالة من تقسيم العمل ، وانه كلما تطور المجتمع ازدادت الحاجة إلى تقسيم العمل كلما كانت الحاجة إلى ظهور تباينات بدرجة كبيرة وبالتالي فأن هذا الوضع الاجتماعي هو سمة ملازمة للمجتمعات المتحضرة التي تقوم على تقسيم العمل

في حين أن النموذج الذي يطرحه بارسونز يرتكز على فكرة أساسية تتركز في أن البناء الاجتماعي يميل بشكل مستمر إلى الحفاظ على ذاته ولذلك تتولد فيه حركة انسيابية تعمل على إعادة أنتاج مكونات بنائه الاجتماعي وان أهم وسيلة لعملية إنتاج تلك تكمن في مجموعة محددات اجتماعية تشمل الدخل والمهنة والتعليم والتي تعمل جميعها على انتقاء الأفراد للالتحاق بالطبقات العليا وشغل ادوار هامة وتوجيه الآخرين نحو الطبقات والأدوار الأخرى .

أما النموذج النظري الذي يطرحه بير بورديو ينهض على فكرة أساسية تتركز على دور النظام التعليمي أو المدرسة في عملية خلق التفاوت الاجتماعي داخل المجتمع ، حيث يرى بورديو أن الرأس مال الثقافي يمثل دائما ثقافة الطبقة الغنية المسيطرة وبالتالي تسهم هذه الثقافة في إنتاج نفس الطبقة المسيطرة ، على اعتبار أن النظام التعليمي الذي تسوده وتسيطر عليه ثقافة الطبقة الغنية يظهر بشكل يوحى للوهلة الأولى بأنه يتيح المجال لجميع أفراد المجتمع للتدرج الاجتماعي ، إلا أن هذه الثقافة جاءت بشكل يلاءم الطبقة المسيطرة أكثر من الطبقات الأخرى وبالتالي ساعد كل ذلك على خلق عملية إعادة الإنتاج وهو ما يسميه بير بورديو العنف الرمزي

بناء على ما تقدم فأن الباحث يستطيع أن يتعرف على مدى ملائمة كل نموذج لدراسة موضوع تطوير التعليم والمسار المهني للأبناء من خلال دراسة المحددات الاجتماعية ، وبما يتلائم مع طبيعة المجتمع الذي نرغب في دراسته بما يساعد على تشكيل قاعدة علمية تسهم في الإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه وإعطاء جملة من القضايا التي تتماشى مع الدراسة الحالية و رغم عدم تمكننا من الاطلاع على كل النماذج النظرية التي تعالج نفس موضوع البحث بسبب تشعبها و استحالة الاطلاع عليه كلها من طرف الباحث.

ومن جانب أخر لعل أهمية النماذج النظرية كما سبق وأن ذكرنا تكمن في أنها توضح لنا الكثير من المفاهيم والقضايا التي يمكن أن توجه مسار هذا البحث العلمي وبالتحديد الوصول إلى انجح طريقة لمعرفة ما يمكن معرفته عن المجتمع .

وفى ضؤ هذه الأهمية استفادة الدراسة الحالية من النماذج النظرية التي سبق طرحها بالنظر إلى أهم القضايا التي طرحتها جميع تلك النظريات حيث نجد إنها تتمحور في الأتي:

1 –أن كل من بارسونز، ودوركايم،وبارسونز ، وبيير بوردو ينظرون إلى التباين الاجتماعي باعتباره سمة ملازمة للمجتمعات الإنسانية، رغم اختلافهم في مسببات هذا التباين الاجتماعي

2–تشير النماذج النظرية السابقة إلى الدور الواضح والجلي الذي يلعبه التعليم في إعادة الإنتاج أو التدرج الاجتماعي

3–أكدت كل النماذج النظرية أن أهم المرتكزات التي تحدد التعليم والمسار المهني للأبناء تكمن في المحددات السوسيو اقتصادية وهذا ما نسعى التعرف عليه

4- أجمعت اغلب النماذج النظرية السابقة على أن النظام التعليمي متأثر بالمحيط الاجتماعي الأمر الذي يسهم في تعزيز التفاوت الاجتماعي

5- تناولت النماذج النظرية السابقة لكل من ، ودوركايم ، تالكوت بارسونز ،وبيير بورديو موضوعات متعددة مثل العلاقة بين الحراك الاجتماعي والتعليم ، كما تناولت تأثير كل من المحددات الاجتماعية التالية (الدخل ، تعليم الأب ، ومهنة الأب ، وطموح الوالدين)على التعليم والمسار المهني للأبناء .

6- لا يمكن التسليم بشكل مطلق بكل ما طرحته النماذج النظرية السابقة وخاصة تلك الأفكار المتأثرة بالايدولوجيا الرأسمالية وخاصة فكرة تقسيم العمل عند دوركايم وأثره في التدرج الاجتماعي أو اعتبار غياب التعليم سبب أساسي لتخلف المجتمع عند بارسونز ، أو ما يطرحه بيير بوردو باعتبار العنف الثقافي في المجتمعات الرأسمالية سبب اساسى لإنتاج التفاوت الاجتماعي

المراجع:

1 - عبد العزيز رأس المال، كيف يتحرك المجتمع ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر ط2 سنة 1999 ص75ص 175

2- jontan trinr education sociological theory1999bb30

3 علي ليلة .البنائية الوظيفية ،دار المعارف مصرص258 ط(1)1982

4 عبد الله عبد الرحمن علم اجتماع المعرفة –دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1994ط1ص42

5 graham c . kinloch sociological theory its development and major paradigms1990bb 225

6 –نعيمة حسن جابر ،التعليم والحراك الاجتماعي فى منطقة صناعية بالمجتمع المصري ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية جامعة عين شمس سنة 1991 ص 64 –67

7 نفس الرجع السابق ص51

8 نفس المرجع السابق ص53

9 بيير بورديو العنف الرمزي ترجمة نظير جاهل المركز الثقافي العربي الدار البيظاءط1سنة 1994ص14

10 بيير بورديو نفس المرجع السابق ص117

11 نفس المرجع السابق ص128

12 نفس المرجع السابق ص67

13 شبل بدران ، حسن البيلاوى علم اجتماع التربية المعاصر، دار المعارف الجامعية، ط1 سنة 1997 ص131

14 أنتونى غندز علم الاجتماع ت فايز الصباغ مركز دراسات الوحدة العربية ط4 سنة 2005ص561

15 شبل بدران وحسن البيلاوى مرجع سبق ذكره ص135

16 بيير بورديو نفس المرجع السابق ص 150